مفهوم الرفق في القرآن الكريم والسنة النبوية
(دراسة موضوعية)

الكلمات المفتاحية : الرفق ، القرآن، موضوعي

م.د. حقي حمدي خلف
المديرية العامة لتربية ديالى
E-mail : ohaki94@gmail.com

الملخص

يتناول البحث الموسوم (مفهوم الرفق في القرآن الكريم والسنة النبوية –دراسة موضوعية–) حيث إن الدين الاسلامي حث الناس على التمسك بالأخلاق الفاضلة ،والاتصاف بالصفات الحميدة التي على كل مسلم ان يتحلى بها، ومن تلك الاخلاق التي دلنا عليها الاسلام الرفق والرحمة واللين مع الناس، فالرفق ما كان في شيء الا وجعله حسنا وما نزع من شيء الا جعله مكروها، ونظراً لحاجة المجتمع اليوم الى الرفق والرحمة جعلته عنوان بحثي هذا، وقد قسمت هذا البحث على مبحثين كل مبحث يحتوي على ثلاث مطالب ، فكان المبحث الاول مطلبه الاول : مفهوم الرفق لغة واصطلاحا ، والمطلب الثاني : الرفق في القرآن والسنة ، والمطلب الثالث كلام اهل العلم في الرفق، المبحث الثاني :المطلب الاول : انواع الرفق ، والمطلب الثاني : أهمية الرفق وعلاقته بالحكمة ، والمطلب الثالث : الحذر من انقلاب الرفق ذل ومهانة ، وكذلك أحتوى بحثي هذا على خاتمة وذكر للمصادر والمراجع .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد.

إن الدين الاسلامي حث الناس على التمسك بالأخلاق الفاضلة، والاتصاف بالصفات الحميدة التي على كل مسلم ان يتحلى بها، ومن تلك الاخلاق التي دلنا عليها الاسلام الرفق والرحمة واللين مع الناس، فالرفق ما كان في شيء الا وجعله حسنا وما نزع من شيء الا جعله مكروها ، ونظرا إلى الحاجة المجتمع اليوم الى الرفق والرحمة جعلته عنوان بحثي هذا.

المبحث الاول

المطلب الاول مفهوم الرفق

الرفق لغة :-

قال الفراهيدي : (الرفق :لين الجانب ولطافة العمل وصاحبه رفيق)(١). وقال ابو بكر الازدي (الرفق :ضد الخرق ، رفق يرفق رفقا وهو بكذا وكذا ، وفلان بفلان ورافقا به ،وهو اللطف وحسن الصنيع اليه)(٢).وذهب الفارابي الى ان الرفق هو : "ضد العنف ، وحكي رفقت به ورافقته وترفقت به بمعنى واحد"(٣).

الرفق اصطلاحا:

إن المعنى الاصطلاحي للرفق يشابه ما هو عليه في اللغة يقول ابو هلال العسكري في معجم الفروق اللغوية (أن الرفق هو اليسر في الامور والسهولة في التوصل اليها)(٤).

ونقل صاحب مرشد الخطيب تعريفا للرفق فقال (الرفق في الاصطلاح هو لين الجانب بالقول والفعل والاخذ بالأسهل)(٥).

ونستطيع من خلال ما تقدم من تعريفات القول أن الرفق :

هو لين الجانب بالأقوال والافعال ، وجلب النفع للآخرين ، وهو ضد العنف والشدة الفحش.

المطلب الثاني

الرفق في القران الكريم والسنة النبوية

اولا/ الرفق في القران الكريم .

أشار القران الكريم في كثير من آياته الى الرفق ومعانيه ، وهذه بعضٌ من تلك الآيات:

١- قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾(٦) ، قال القشيري رحمه الله في تفسير هذه الآية: (قيل سداد المنطق ويقال من يخاطبهم بالقدح فهم يجاوبونه بالمدح له، ويقال اذا خاطبهم الجاهلون بأحوالهم، الطاعنون فيهم، العائبون لهم قابلوا ذلك بالرفق وحسن الخلق والقول الحسن والكلام الطيب)(٧).

٢- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾ (٨) ، الرِّفْقُ فِي اللُّغَةِ لِينُ الْجَانِبِ وَلَطَافَةُ الْفِعْلِ، وَصَاحِبُهُ رَفِيقٌ، هَذَا مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ ثُمَّ الصَّاحِبُ يُسَمَّى رفيقا لِارْتِفَاقِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، ثم إن الله تَعَالَى بَيَّنَ فِيمَنْ أَطَاعَ اللَّه وَرَسُولَهُ أَنَّهُ يَكُونُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، بَلْ ذَكَرَ أَنَّهُ يَكُونُ رَفِيقًا لَهُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الرَّفِيقَ هُوَ الَّذِي يُرْتَفَقُ بِهِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَبَيَّنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُطِيعِينَ يَرْتَفِقُونَ بِهِمْ، وَإِنَّمَا يَرْتَفِقُونَ بِهِمْ إِذَا نَالُوا مِنْهُمْ رِفْقًا وَخَيْرًا، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ مَعَ غَيْرِهِ وَلَا يَكُونُ رَفِيقًا لَهُ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ عَظِيمَ الشَّفَقَةِ عَظِيمَ الِاعْتِنَاءِ بِشَأْنِهِ كَانَ رَفِيقًا لَهُ، فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ يَكُونُونَ لَهُ كَالرُّفَقَاءِ مِنْ شِدَّةِ مَحَبَّتِهِمْ لَهُ وَسُرُورِهِمْ بِرُؤْيَتِهِ(٩) .

٣- قال تعالى:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ (١٠)، قال السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية (ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل البدأة بالاهم فالاهم ، وبالأقرب الى الاذهان والفهم ، وبما يكون قبوله اتم ، وبالرفق واللين فان انقاد بالحكمة ، والا فينتقل معه بالدعوة وبالموعظة الحسنة، وهو الامر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب)(١١).

٤- قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧ ﴾الشورى: ٣٧ (١٢)،"قال: (وقال ابن عباس كشتم رجل المشركين أبا بكر فلم يرد عليه شيئا فنزلت الآية، وهذه من محاسن الاخلاق ،يشفقون على ظالمهم ويصفحون لمن جهل عليهم ، يطلبون بذلك ثواب الله تعالى وعفوه، لقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ (١٣) وهو أن يتناولك الرجل فتكظم غيظك عنه (١٤).

٥- قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾(١٥) و"الباء" هنا باء السببية، و"ما" زائدة في الإعراب، ولكنها في المعنى لتقوية معنى الرحمة، والمعنى: بسبب رحمة أي رحمة عظيمة فياضة أفاضها المولى العلي القدير كنت لينا معهم في كل أحوالك، وكنت لينا لهم بعد الأخطاء التي وقعوا فيها، والكارثة التي نتجت عن مخالفتك، فما لمُتَهُم، ولا عنَّفْتَهم بل سكت حيث رأيت ما أصابهم من غم استغرقهم، وحزن

استولى عليهم، ولقد شكر الله سبحانه وتعالى لنبيه ذلك اللين؛ إذ لم يؤاخذهم، ولم يفرط في القول معهم؛ لأن اللوم على الماضي يُيئس النفس من غير جدوى، وهو رجعة إلى الوراء، والقائد الحكيم يتجه إلى الأمام، ولا يلتفت إلى ورائه إلا بمقدار ما ينير له السبيل أمامه، وبمقدار ما يجنبه خطأ وقع فيه، وبمقدار ما يحفز همة من معه، ويشحذ عزيمتهم، وإن المبالغة في اللوم على ما وقع في الماضي يلقى باليأس، وفي اليأس الهزيمة، واليأس والقنوط إسراف على النفس بالهموم، ولا نجاح لمن في هم دائم، وحزن واصب، فكان لين النبي(ﷺ) معهم في هذه الآلام التي أصابتهم كالبلسم الشافي لأسقامهم، والقائد الماهر الحكيم يجب أن يجمع إلى العزيمة القوية الموجهة إلى العمل البِشْر ولين العريكة، وتسهيل الخروج من أوضار الخطأ، حتى لَا يعنتهم ولا يبهظهم ، وحسبُهم ما أصابهم، وإن الشدة في مثل هذه الأحوال والغلظة في القول والعمل تنفر ولا تجمِع(١٦).

ثانيا/ الرفق في السنة النبوية .

لقد جاء في السنة النبوية المطهرة أحاديث متعددة تحث وتأمر المسلم بالرفق، بل وإن كثيراً من أهل الحديث جعلوا في كتب الحديث أبواب خاصة بالرفق من أولئك البخاري ومسلم وغيرهم من أئمة الحديث وإليك بعضاً من هذه الاحاديث التي تحث على الرفق :

١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا): أَنَّ يَهُودَ أَتَوُا النَّبِيَّ(ﷺ) فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ» قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ» (١٧).

٢- وروى مسلم في صحيحه ،عن عبد الرحمن بن هلال، قال: سمعت جرير بن عبد الله يقول: قال رسول الله (ﷺ) (من حرم الرفق ،حرم الخير أو من يحرم الرفق يحرم الخير)(١٨)

٣- وكذلك روى الامام مسلم في صحيحه، عن عائشة زوج النبي (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال: (يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه)(١٩) .

٤-وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) إِلَى الْبَادِيَةِ إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَأَعْطَى نِسَاءَهُ بَعِيرًا بَعِيرًا غَيْرِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطَيْتَهُنَّ بَعِيرًا بَعِيرًا غَيْرِي، فَأَعْطَانِي بَعِيرًا آدَمَا صَعْبًا، لَمْ يُرْكَبْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: " يَا عَائِشَةُ، ارْفُقِي بِهِ، فَإِنَّ الرِّفْقَ لَا يُخَالِطُ شَيْئًا إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُفَارِقُ شَيْئًا إِلَّا شَانَهُ ".(٢٠)

٥- وروى ابن المبارك في كتاب (الزهد والرقائق)، عن حبيب بن حجر القيسي قال كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول :(ما أحسن الايمان يزينه العلم ، وما أحسن العلم يزينه العمل ، وما أحسن العمل يزينه الرفق وما أضيف شيء الى شيء أزين من حلم الى علم)(٢١).

٦- روى ابن مسعود أن رسول الله (ﷺ) قال : (حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس)(٢٢).

٧- وروى مسلم في صحيحه عن ابي موسى ،قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث احدا من أصحابه في بعض أمره ،قال :"بشروا ولا تنفروا ،ويسروا ولا تعسروا"(٢٣) .

المطلب الثالث

الرفق عند العلماء

ذكر السعدي رحمه الله أن الرفيق من أسماء الله تعالى فقال رحمه الله تعالى: "ومن أسمائه "الرفيق" في أفعاله وشرعه(٢٤)، وهذا قد أخذ من قوله (ﷺ) في الحديث الصحيح: "إن الله رفيق يحب أهل الرفق، وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف"(٢٥).

فالرِّفْقُ من الصفات الفعلية الخبريَّة الثابتة لله عَزَّ وجَلَّ، و(الرفيق) اسم من أسمائه تعالى والدليل: ١- حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: ((يا عائشة! إنَّ الله رفيق، يحب الرفق في الأمر كله ...))(٢٦).

٢- حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: ((اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً، فَشَقَّ عليهم، فاشقُقْ عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً، فرفق بهم، فارفق به))(٢٧).

قال أبو يعلى الفراء ((اعلم أنه غير ممتنع وصفه بالرفق لأنه ليس في ذلك ما يحيل على صفاته، وذلك أنَّ الرفق هو الإحسان والإنعام وهو موصوف بذلك لما فيها من المدح، ولأن ذلك إجماع الأمة))(٢٨). ... وقال ابن القيم في نونيته :

((وهُوَ الرَّفِيقُ يُحبُّ أهل الرِّفْقِ بَلْ ... يُعطيهمُ بالرِّفقِ فَوْق أمَانِي))(٢٩) .

وقال صاحب تهذيب اللغة : ((قال الليث: الرفق: لين الجانب، ولطافة الفعل، وصاحبه رفيق))(٣٠).

فالرفيق هو مأخوذ من الرفق الذي هو التأني في الأمور والتدرج فيها، وضده العنف الذي هو الأخذ فيها بشدة واستعجال(٣١).

فالله تعالى رفيق في أفعاله خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئاً فشيئاً بحسب حكمته ورفقه مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة .

ومن تدبر المخلوقات وتدبر الشرائع كيف يأتي بها شيئاً بعد شيء شاهد من ذلك العجب العجيب، فالمتأني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة ووقار إتباعاً(٣٢).

وذكر صاحب المقصد الأسنى العلاقة بين اسم الله تعالى اللطيف وبين الرفق فقال : "إِنَّمَا يسْتَحق هَذَا الِاسْم من يعلم دقائق الْمصَالح وغوامضها وَمَا دق مِنْهَا وَمَا لطف ثمَّ يسْلك فِي إيصالها إِلَى المستصلح سَبِيل الرِّفْق دون العنف فَإِذا اجْتمع الرِّفْق فِي الْفِعْل واللطف فِي الْإِدْرَاك تمّ معنى اللطف"(٣٣) .

ونلاحظ أن الإمام شمس الدين الذهبي قد حث على الرفق عملا وقولا فكان من منهجه (رحمه الله) في دعوة أهل البدع: سلوك طريق الرفق واللين إذا كان المبتدع جاهلاً، لأن ذلك أحرى باستجابته وإقلاعه عن بدعته، فيقول: "فليكن رفقك بالمبتدع والجاهل حتى تردهما عما ارتكباه بلين، ولتكن شدتك على الضال الكافر.

ويقول: "والجاهل يعذر ويبين له برفق "(٣٤).

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ ؛ قَالَ: غُشي على مسروق في يومٍ صائفٍ وهو صَائِمٌ، فَقَالَتْ لَهُ ابْنَتُهُ: أَفْطِرْ؛ قَالَ: مَا أَردتِ بِي؟ قَالَتْ: الرِّفْقَ؛ قَالَ: يَا بُنَيَّة! إنما طلبت الرفق لنفسي فِي يومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلف سَنَةٍ(٣٥).

حتى ذكر الشاطبي (رحمه الله) أن الرفق قرين للتجاوز والاغضاء فقال (فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيَرْضَى بِهِ وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ، وَمِنْ جُمْلَةِ الرِّفْقِ شَرْعِيَّةُ التَّجَاوُزِ وَالْإِغْضَاءِ، إِذِ الْعَبْدُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ زَلَّةٍ وَتَقْصِيرٍ، وَلَا مَعْصُومَ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ)(٣٦) .

ثم أن الرفق اذا اتصفت به النفس وصلت لمقصودها فينبغي الإنسان أن يعلم أن نفسه مطية ولا بد من الرفق بها ليصل إلى المقصود، وقد قال النبي(ﷺ): " وإن لنفسك عليك حقاً "(٣٧)، وإذا كان لها حق فليأخذ لها ما يصلحها، وليترك ما يؤذيها من الشبع والإفراط في تناول الشهوة؛ فإن ذلك يؤذي البدن والدين، وليأخذ قدر القوام من غير أن يؤذي النفس، ومن كفها عن التصرف على مقتضى ما وضع في طبعها فيما يصلحها فقد آذاها إلا أنه يكفها عن الشبع المفرط والشره وما يخالف عاقبته، فإن ذلك يفسدها(٣٨).

وقد ذكر سيدنا سفيان (رحمه الله) نقيضا للرفق الا وهو الخرق فقال:" ومن لا ينفعه الرفق يضره الخرق، والخرق: ضد الرفق)."(٣٩)

ثم ان العلماء شددوا على أهمية الرفق في الدعوة فقالوا "الرفق في الدعوة إلى الله تعالى بعامّة والدعوة إلى السنّة بخاصة مبدأٌ شرعيّ، ولاسيما في مجال الدعوة إلى الله تعالى، والمراد به التلطف في إيصال الدعوة إلى الآخرين، وليس المراد المداهنة والتنازل عن شيء من هدْي الإسلام، وقد قال النبي (ﷺ) قولاً عامّاً في الرفق وعاقبته، فقال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"(٤٠)، فأراد النبي (ﷺ) هذا العموم "لا يكون في شيء... ولا ينزع من شيء"، وقال(ﷺ): "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"(٤١). فلا يستطيع أحد، بعد هذا البيان النبوي الواضح، أن يُخْرِج الدعوة من هذا الحكم العام، والرفق المشروع في الدعوة إلى الله تعالى فرعٌ من فروع السماحة، ومَظْهَرٌ من مظاهرها، ودليل على التخلُّقِ بها.

وليس من الرفق تجاهل ظروف الناس وأعذارهم، وليس من الرفق العجلة المذمومة ، وليس من الرفق عدم مراعاة سنّة التدرج في الدعوة والبيان والتعليم المتآخية مع سنة الله في الخَلْق، وليس من الرفق الفُحْشُ والبذاء، وليس من الرفق والسماحة العدول عن هدي النبي المصطفى (ﷺ) بصفة عامة، وليس من الرفق والسماحة مُجَانَبَةُ هدْي النبي (ﷺ) في أنه ما خُيّرَ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، إنه لا يَصحّ أن ندعو إلى السنّة بما ينافي طبيعتها وطبيعة هذا الدين

مِن الشدة والجفاء، على الرغم مِن تأكيد الرسول (ﷺ) على الرفق بعامّةٍ في الأمور كلها."(٤٢)

وإن من آداب طالب العلم التحلي بالرفق اي أن نلتزم الرفق في القول؛ مجتنباً الكلمة الجافية، فإن الخطاب اللين يتألف النفوس الناشزة، وينبغي للدعاة إلى الله عز وجل، والمصلحين، والآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، والمؤثرين في الناس أن يتعاملوا مع الناس برفق، حتى لو كان مخالفاً.

فينبغي أن يتعود الإنسان أن يكون نقاشه نقاشاً علمياً دقيقاً، يركز فيه على المسائل العلمية وعلى الفوائد أكثر من التركيز على النقد الموجه للأشخاص، وخصوصاً الذي يكون فيه سب وشتم وتجريح وانتقاص.

المبحث الثاني

المطلب الاول

أنواع الرفق

الرفق من أهم الاشياء التي تدخل في حياة المسلم وأكثر ما يحتاجه الانسان في تعاملاته مع الآخرين ، كما قال النبي (ﷺ) لعائشة :(فأن الرفق لم يكون في شيء قط الا زانه ، ولا نزع من شيء قط الا شانه)(٤٣).

لذلك الرفق يدخل في أنواع كثيرة وجوانب عديدة منها :-

أولا/ الرفق في التعليم :

المعلم في ميدان عمله أنفس ما يحتاجه هو الرفق بمن يعلمهم واللين واليسر معهم ،وقد وردت أثار كثيرة في السيرة تدل على ذلك منها ما رواه البخاري وغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ): مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ(٤٤) ، ما اجمل هذه الاخلاق من نبي الرحمة(ﷺ)، يبول هذا الرجل في المسجد

ولا يعذبه أو يضربه، بل رفق به وعلمه بلين وعطف عليه كأنما هو صبي صغير لا يعرف شيئاً.

لا بل الاعجب من ذلك ما رواه مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي، قال بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) (٤٥).

وكذلك تعاليمه داخل وخارج المسجد كلها رفق ولين ويسر مع الناس.

فهذا هو مرة أخرى يعلم الصحابي الجليل معاذ بن جبل فعنه أَنَّ رَسُولَ الله (ﷺ) أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: " أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ "(٤٦).

هذه الرحمة والرفق وحسن التعامل مع المتعلمين من قبل رسولنا (ﷺ) انما هي امتثال من قبل رسول الله للخطاب القرآني المتمثل بقوله تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾(٤٧) ، قال آبن كثير رحمه الله (أي لو كنت سيء القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك)(٤٨)، فيجب علينا نحن بوصفها متعلمين ان نتحلى بهذه الصفات الحميدة.

ثانيا/الرفق بالأهل والاولاد :

و من أهم الانواع التي يدخل بها الرفق وأخصّها الرفق بالزوجة والاولاد، ينبغي على كل مسلم أن يكون رفيقا بأهله لانهم أحق الناس بذلك روى أبن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال: (ما أعطي أهل بيت الرفق إلا نفعهم)(٤٩).

ويقول النبي (ﷺ) من حديث عائشة (رضي الله عنها) (أذا اراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق)(٥٠)، يعني أدخل عليهم الرفق بحيث يرفق بعضهم ببعض ،فيرفق الزوج بالزوجة ، ويرفق الرجل بابيه وأمه ، ويرفق الاب والام بالولد ، ويرفق الأخوة بعضهم ببعض وكذلك يرفقون بجيرانهم وهكذا عامة البيوت فلا تصبح للمشاكل أثرا(٥١).

ولقد أمر الله عز وجل الرجال بالمعاشرة الحسنة والوصية بالنساء خيرا فقال تبارك وتعالى ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾(٥٢)، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : (أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (٥٣)، وقال رسول الله (ﷺ) (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)(٥٤).

وعن ابي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) (استوصوا بالنساء خيرا، فان المرأة خلقت من ضلع وأن أعوج ما في الضلع اعلاه، فإن ذهبت تقسيمه كسرته، وان تركته لم يزل معوجا، فاستوصوا بالنساء خيرا)(٥٥).

ومن أعظم الرفق بالأهل والاولاد ان يعلمهم الدين والتوحيد وحسن الخلق وغير ذلك من أمور الدين ، ولقد بوب البخاري في صحيحه باب بقوله تعالى: (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)(٥٦).

بل وان الشريعة السمحاء جعلت للمرأة مكانة عظيمة جدا رفقا ورحمة بها لأنها ليست كالرجل في قوة التحمل وكمال الدين والجسد، بل ورعاها الدين في حرية البقاء مع زوجها فجعل لها حكما خاصا وهو الخلع(٥٧) وذلك إذا تأذت هذه المرأة من زوجها، واذا أردنا أن نتكلم على رفق الشرع بالمرأة لطال بنا المقام ، وأما الجانب الآخر من الرفق بأهل بيت الرجل وهم الاولاد فكان خير من علم الناس الرفق، الرحمة مثل أعلى في ذلك ، فكان (ﷺ) رفيقا بالصبيان حنونا عليهم يسلم عليهم، روى البخاري من حديث انس (رضي الله عنه) (انه مر على صبيان فسلم عليهم) وقال :(كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله)(٥٨) ، وكان (ﷺ) يلاعب الحسن والحسين ويحملهم ويضحك معهم، وذكر اهل السنن من حديث أنس (رضي الله عنه) قال (كان ابن لأم سليم يقال له أبو عمير كان النبي (ﷺ) يمازحه أذا دخل على أم سليم فدخل يوما فوجده حزينا فقال: ما لأبي عمير حزينا ؟ قالوا : يا رسول الله مات نغره الذي كان يلعب به فجعل يقول له يا أبا عمير ما فعل النغير)(٥٩)، وكان (ﷺ) عطوفا بالصبيان رحيما بهم، روى أبن حيان في صحيحه من حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت جاء أعرابي الى النبي (ﷺ) فقال تقبلون الصبيان فما نقبلهم، فقال رسول الله (ﷺ): (وما أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك)(٦٠).

فالأسرة المسلمة سواء كان الزوج او الزوجة او الاولاد وغيرهم من أركان العائلة ينبغي لها أن تتحلى بالرفق والرحمة لتسود روح المحبة والطيبة لأنشاء مجتمع عطوف بعضه على بعض مستمسك بعروة قوية الا وهي الرحمة والرفق.

ثالثا/ الرفق بالمسلمين :

أذا ولي المسلم من أمر المسلمين أمراً يدخل فيه الرفق، وهو تحمل المسؤولية، وتحمل المسؤولية لابد فيها من الرفق وهذا من أهم الأمور الذي يجب أن يؤكدها الذي يتولى أمور المسلمين، فإنه إذا لم يكن رفيقا بهم، ستعم الفوضى والفساد ، يقول الرسول (ﷺ) في الحديث الذي روته عائشة رضي الله عنها ، قالت سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشقَّ عليهم فأشقق عليه، ومن ولي من امر امتي شيئا فرفق بهم فأرفق به)(٦١)، لاحظ العبارة من رسول الله (ﷺ) لا يشترط أن يكون الخليفة، فيمكن ان يكون ادنى منه بكثير، من ولي أمراً ولو أمراً رجل واحد من المسلمين يجب ان يرفق به، فالمدير في مدرسته ، والوزير في دائرته ، وكل صاحب اسرة يجب ان يرفق بمن حوله وتحت يده ، وبمن هو مسؤول عنه ، والا فان الله سيشق عليه يوم القيامة وفي الدنيا أيضا فالدعاء عام ودعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجاب(٦٢).

وروى مسلم في صحيحه أن عائذ بن عمرو، و كان من أصحاب رسول الله (ﷺ) دخل على عبيد الله ابن زياد ، فقال أي بني ، اني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول (إن شر الدعاء الحطمة، فإياك أن تكون منهم)، فقال له : اجلس فإنما انت من نخالة اصحاب محمد (ﷺ)، فقال : (وهل كانت لهم نخالة ؟إنما النخالة بعدهم، وفي غيرهم)(٦٣)، يقول النووي في شرح هذا الحديث ((ان شر الدعاء الحطمة)) قالوا هو العنيف في رعيته لا يرفق بها في سوقها ومرعاها بل يحطمها في ذلك وفي سقيها وغيره ويزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها ويحطمها)(٦٤)، فالمسؤول على امور المسلمين يجب ان يكون رحيما عطوفا رفيقا برعيته لأنه مسؤول عنهم.

رابعا/ الرفق بغير المسلمين :

من أهم جوانب التسامح في هذا الدين مع غير المسلمين: مشروعية الرحمة العامة، فهنالك رحمة عامة يرحم بها المسلم الخلق كافة، كما قال (ﷺ): (إن الله لا يضع رحمته إلا

على رحيم، قالوا: كلنا يرحم يا رسول الله! قال: ليس رحمة أحدكم صاحبه، ولكن يرحم الناس كافة)(٦٥) فأول مظاهر هذا التسامح الرحمة العامة؛ بل إن من أسماء الله عز وجل الحسنى المقدسة اسمه عز وجل الرحمن واسمه الرحيم، ومعلوم اختلاف العلماء في تفسير هاتين الصفتين، وكيف أن الرحيم يختص بالمؤمنين، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة يشمل كل المخلوقات، فالرأفة والرحمة من صفات الله عز وجل.

أيضاً أرسل الله تبارك وتعالى رسوله محمداً (ﷺ) رحمة للخلق، قال عز وجل : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)(٦٦)، ومن هنا حض الإسلام على هذه الرحمة العامة للخلق كافة ورأف بهم، فمن ذلك قوله (ﷺ): (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)(٦٧)، الناس بكل أبعادها، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال (ﷺ): (من لا يرحم لا يرحم)(٦٨).

ففي الحديث حض على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن والكافر، والبهائم المملوك منها وغير المملوك.

فالرحمة شاملة لكل الخلق وليست خاصة بالمؤمنين أو بالمسلمين، وسبب هذه الرحمة ظاهر؛ فإن الحياة بمعنى الحيوانية في الشيء، فكلمة الحيوان مذكر الحياة، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ ﴾(٦٩) أي: هي الحياة الحقيقية الباقية.

وكل من الانسان والدواب والطيور فيه حياة وهو سبب من أسباب الدعوة إلى الرحمة، ولهذا لما سئل النبي (ﷺ): (هل في الإحسان إلى البهائم أجر؟ فقال (ﷺ): لك في كل ذات كبد رطبة أجر) ومعلوم حديث الرجل الذي رأى الكلب وهو يلهث أو يلعق التراب من شدة العطش، فنزل البئر وأحضر له الماء في نعله أو في موقه فسقاه، فغفر الله له بذلك(٧٠).

فالرحمة العامة لكل المخلوقات، سواء كان مسلماً أو كافراً أو من البهائم ففي كل كبد رطبة أجر.

إنّ وجود الكفر أو الفسوق أو العصيان في واحد من الناس هو أمر أصلاً يدعو إلى الرحمة والتأسف، أنت إذا تذكرت ما ينتظره من العذاب الأليم تشعر بالرحمة له والشفقة عليه من هذا العذاب، وتتأسف على حاله؛ لأنه إنسان مبتلى، فالمبتلى لا ينبغي إظهار التعالي عليه، بل على المسلم التقي الذي عافاه الله عز وجل أن يحمد ربه على العافية قال تعالى: ﴿ ٱللَّهِ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ ﴾ (٧١) أي: كذلك كنتم قبل أن تدخلوا في الإسلام.

فالإنسان المسلم لا ينظر إلى أن هذه الهداية أو التوفيق جاءت من كده وكدحه، إنما هي برحمة الله له وبتوفيقه الذي حرمه ذلك الكافر، فلا تنظر للكافر بتعالٍ، فإنما الأعمال بالخواتيم، لكن انظر له بعين الرحمة العامة، فتحمد ربك على العافية وترحم هذا المبتلى، وما معنى رحمته؟ معنى رحمته أن تنصحه وتدعوه إلى الحق بالأسلوب المناسب(٧٢).

خامسا/ الرفق بالحيوان :

إن الشريعة الاسلامية جاءت مراعية لجميع المخلوقات ، معلمة للإنسان جميع الآداب التي يجب ان يتعامل بها في حياته ومعاشه، ومن الآداب العظيمة التي سبق اليها الاسلام الرفق بالحيوان ، فلقد علمنا رسولنا الكريم الرحمة والرفق في كل شيء حتى الحيوان ، فقال (ﷺ) من حديث ابي هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله (ﷺ) قال : بينا رجل يمشي فأشتد عليه العطش، فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فاذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ،ثم امسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له)(٧٣)، بل حتى عند الذبح يستحسن أن يرفق الانسان بالحيوان لأنه يخاف ويتأذى مثل الأنسان ، لذلك أمر الرسول (ﷺ) المسلم أذا اراد أن يذبح بأن يحد الشفرة ويذبح الذبيحة ، فعن شداد بن اوس (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال : (ان الله كتب الاحسان على كل شيء، فاذا قتلتم فأحسنوا القتل، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)(٧٤).

وعرف الاسلام الرفق بالحيوان قبل تلك الجمعيات الاوربية والامريكية وغيرها التي أنشئت ولا حامي لها ولا قانون تقوم عليه فلا تستطيع ان تعاقب من يؤذي حيواناً، هذا وقد بلغ المسلمون في الرفق بالحيوان حدا مبهراً، حتى أن عدي بن حاتم كان يفت الخبز للنمل ويقول : إنهن جارات ولهن حق(٧٥)، بل مع أصغر حيوان كان رسول الله (ﷺ) رؤوفا رحيما، فعن عبد الرحمن بن عبدالله عن ابيه قال :كنا مع رسول الله (ﷺ) في سفر، فأنطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرختيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي (ﷺ) فقال (من فجع هذه

بولديها ردوا أولادها إليها)، ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال : (من حرق هذه) قلنا : نحن قال : (إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار)(٧٦).

المطلب الثاني

اهمية الرفق وعلاقته بالحكمة

الرفق ولين الجانب هو من الأركان والأسباب التي تؤدي إلى الحكمة، وكان (ﷺ) وهو الرفيق بأمته يوصي صحابته بالرفق والسكينة دائما، فالرفق واللين من سمات الحكماء، ولهذا فإن الحكمة قد تكون كاملة وقد تكون نسبية، وهذا المفهوم يساعدنا في البحث عن الحكمة والحكماء عند مواجهة الأحداث والأزمات.

والحكمة كلمة جامعة مانعة تعطي للقلب المتنور إحساسا بأنها مفردة جليلة تعني الخير والسداد والاصابة والفلاح والربح والهدف والأمر المنشود والغاية المتوخاة فكانت كلمة مباركة ، ثم تعني الحكمة: (الرفق) و (اللطف) و (الفهم) .

فالخشونة والغلظة والجفاء والتجهم والعبوسة والانقباض وأضرابها لا تنتمي لدائرة الحكمة، والتشدد والانغلاق والتقعر والتطرف والمبالغة والتهويل كلها مفردات تبتعد عن الحكمة، ونحن الآن مطالبون باستخدام (الحكمة) التي لها وزن كبير في التنزيل الحكيم قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾(٧٧)، وكان الطبيب عند العرب هو (الحكيم)، وما أحوجنا الآن في جميع الأمور إلى معالجة الأحوال بـ(الحكمة) فهي علم وعمل وهي أيضا شعور يدفع المؤمن للتريث والتأني قبل التسرع في تصرفات لا تحمد عقباها.

والمقصود بالوسطية هو أن هذا الدين الحنيف عقيدة وشريعة وأخلاقا هو الأولى والأجدر والأخير والأفضل فينبغي التركيز على هذا الطابع الرباني للشريعة الإلهية مصدرا، العالمية شمولا واستغراقا، والتي لا تميز بالأجناس ولا تجازي بالعرقيات ولا تعتد بالعصبيات ولا تمجد بالدم والقبلية والعنجهية والتفاخر بالأنساب والأوطان ولا تكرم بالسطوة والجاه والأموال ولا تعتد إلا بأمرين جليلين هما الإيمان الصحيح والعمل الصالح، تقوى الله قال تعالى :﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾(٧٨).

وقد قال تعالى عن الوسطية: قال تعالى (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)(٧٩) وهنا الوسط خيار الشيء ولبه وأفضله وأطيبه، والمقصود بالاعتدال هو أخذ الأمور دون تطرف ومبالغة

وتهويل وتضخيم، ونحن نرى من الخصوم والأعداء وأيضا من الجاهلين إتهامنا بكوننا متطرفين حيث التطرف عندهم ما يشكل الخروج عن العادات الجاري بها العمل في مجتمعاتهم، فوجب الحذر الشديد من الوقوع في التطرف الحقيقي الذي ينهى عنه الله.

وبما أننا نبتغي بالدعوة النفاذ إلى القلوب والوصول إلى ضمائر الناس لكي يقتنعوا عن صدق بما نعرضه عليهم فإن العوائق التي تصدهم عن قبول البلاغ ينبغي إزالتها ليصفو المنهل ويتضح أمامهم المنهج ويستبين السبيل.

وهذه الأمور الثلاثة: الحكمة والوسطية والاعتدال تناقض تماما أضدادها من العبثية والتطرف والابتذال، وهذه الثلاثة الأخيرة من منابع الإجرام والحرابة والفساد في الأرض وهو ما يطلق عليه الآن مصطلح الإرهاب ، إنه لا مشاحة في الاصطلاح(٨٠).

والنفس البشرية تميل إلى الرفق ولين الجانب وطيب الكلام وتأنس به، وتنفر من الجفوة والغلظة. ولذا كان حري بالمعلمين والمربين أن يعوا هذا الجانب ويطبقوه على تلاميذهم وطلابهم ، والشدة على المتعلمين مضرة بهم(٨١) .

ولقد ضرب الرسول (ﷺ) أروع الأمثلة وأعلاها في حسن تعليمه ورفقه بصحابته رضوان الله عليهم، فمنها حادثة الاعرابي الذي بال في المسجد ، ففي الحادثة بيان لرفق النبي (ﷺ) بالأعرابي وحسن تعليمه له، وذلك لأن الأعرابي كان يجهل ذلك الحكم بطبيعة الحال ولهذا السبب لم يعنفه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوبخه، بل دعاه وعلمه برفق الأمر الذي يجهله. ولقد صور الأعرابي ذلك الموقف بعد أن فقه، بقوله: «بأبي هو وأمي فلم يسب ولم يؤنب ولم يضرب»، وفي هذا القول دليل على تأثر الأعرابي برفق النبي (ﷺ) به، وحسن تعليمه له، قال الحافظ ابن حجر بعد الحديث: وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عناداً، ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه، وفيه رأفة النبي صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه(٨٢).

المطلب الثالث

الحذر من انقلاب الرفق ذلاً ومهانة

في هذا المطلب نتناول موضوع مهم جدا في الرفق، الرفق يدخل في جميع الاشياء وهو كله خير، لكن هنالك مواقف يجب ان يكون الانسان حازما فيها بعيدا عن الرفق والرحمة، يعني اننا اذا أستخدمنا الرفق في هذه المواقف أخطأنا، فلا بد

أن يكون الانسان متوسطا في بعض الامور وشديدا في مواقف ومواضع معينة، لذلك قيل : (لاتكن رطبا فتعصر، ولا يابسا فتكسر)(٨٣).

لذلك نجد ان الرب تبارك وتعالى يأمر الرسول (ﷺ) بالجهاد والشدة والغلظة على الكافرين والمنافقين، اذا وعظوا ودعوا الى دين الله ثم اصروا على ما هم عليه واستكبروا قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ (٨٤).

وكذلك نجد النبي (ﷺ) في بعض المواقف يتعامل مع المقابل بالشدة والغلظة ولو كانوا أقرب الناس إليه وأحبهم الى قلبه وذلك عندما تنتهك حرمات الله تعالى فعن عائشة (رضي الله عنها) أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : ومن يكلم فيها رسول الله (ﷺ)؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه الا أسامة أبن زيد، حب رسول الله (ﷺ) فكلمه أسامة، فقال رسول الله(ﷺ):(أتشفع في حد من حدود الله ،ثم قام فأختطب، ثم قال : إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)(٨٥)، وكذلك فعل الخليفة أبو بكر الصديق(رضي الله عنه) عند الردة انه اغلظ وشدد على من ارتد عن دين الله وخرج عن الاسلام، ففي ختام هذا المطلب اقول لابد ان ينظر الانسان الى المواقف التي يجب ان يتحلى فيها بالرفق والمواقف التي عليه ان يتنازل فيها عن هذا الامر الجليل، فمن الحكمة استخدام الرفق في موضعه الذي نحتاجه فيه، واستخدام الحزم والشدة في مواضع أخرى.

الخاتمة

من خلال ما تقدم من مضمون البحث ، نجد بأن الرفق في المنظور الاسلامي له نتائج عظيمة في حياة الفرد المسلم سواء ذلك مع أسرته أو مع المجتمع، وهذا اهم ما تم استخلاصه من نتائج البحث المقدم .

١- إن الرفق يحمل معاني عدة عند أهل اللغة منها اللين واليسر والرحمة والعفو والاعانة .

٢- إن الرفق في الاصلاح عند أهل العلم الشرعيين مشابه عما وجد في اللغة ولا يكاد يخرج عنه فهو يحمل معاني الرحمة والرأفة والبر.

٣- إن القرآن الكريم والسنة النبوية جاءا بالرفق والسماحة حملا في مضمون الآيات والاحاديث معاني الرفق والدلالة عليه من خلال الامر به بوجه ظاهر أو الدلالة عليه اشارة.

٤- إن الرفق يدخل في جميع امور الحياة وهو كله خير وصاحبه محمود ومحبوب عند الناس جميعا .

٥- تكون الرحمة والرفق مع جميع الخلق مسلمهم وغير مسلمهم، وحتى مع الحيوان.

٦- مع الرفق يجب على الفرد ان يكون حازما شديدا، اي أنه يتنازل عن الرفق ويستخدم الحزم والغلظة لكن يجب أن يكون هذا الامر في محله وبحكمة.

٧- بتبيان هذا المفهوم وتطبيقاته تنجلي شبهة وتهمة الإرهاب التي يتُهم بها الإسلام ظلماً وزوراً .

Abstract

The Concept of Gentleness in Holly Quran and Prophetic Sunnah (An Objective Study)

Keywords: Gentleness, Quran, Objective

Ins. Haki Hamdi Khalaf (Ph.D)

Ministry Of Education

This study tackles The Concept of Gentleness in Holly Quran and Prophetic Sunnah (An Objective Study). Islam urges people to keep following good morals. One of the good morals that Islam urges us to follow is gentleness or compassion. Every aspect of life without compassion or gentleness is meaning. Since the nation is in need of gentleness. The study has chosen this subject. This research has two parts, each part has two requirements. The first requirement include the meaning and the definition of pity in the Quran and the Surah.

The second part has also two requirements, the first includes the types of pity and the second includes a warning of turning pity into humiliation.

The research ends with a conclusion and an index and the references.

الهوامش

(١)كتاب العين للفراهيدي – ١٤٩/٥ .

(٢)جمهرة اللغة ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي – ٧٢٨/٢.

(٣)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري – ١٤٨٢/٤.

(٤)معجم الفروق اللغوية ، لأبي هلال الحسن العسكري ١٠٢/١.

(٥)مرشد الخطيب ودليل الباحث في الخطب المنبرية : لعبد الرحمن المصطاوي – ٣٥١.

(٦)سورة الفرقان – من الآية ٦٣.

(٧)لطائف الإشارات = تفسير القشيري ، ٦٤٩/٢.

(٨)سورة النساء – الآية (٦٩).

(٩)مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، لفخر الدين الرازي ١٣٦/١٠.

(١٠) سورة النحل – الآية (١٢٥) .

(١١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي ٤٥٣/١.

(١٢) سورة الشورى – من الآية (٣٧) .

(١٣) سورة آل عمران – من الآية (١٣٤) .

(١٤) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ٣٦/١٦ .

(١٥) سورة آل عمران – من الآية (١٥٩) .

(١٦) ينظر زهرة التفاسير لأبي زهرة ١٤٧٤/٣ .

(١٧) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ٨٥/٨ رقم الحديث (٦٤٠١) .

(١٨) المسند الصحيح = صحيح مسلم رقم الحديث (٢٥٩٢)، باب فضل الرفق ، ٢٠٠٣/٤ .

(١٩) صحيح مسلم ٢٠٠٣/٤ ، رقم الحديث (٢٥٩٣)، باب فضل الرفق ، ٢٠٠٣/٤.

(٢٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٣١٥/٤١ رقم الحديث (٢٤٨٠٨) .

(٢١) الزهد والرقائق لابن المبارك : ٤٧٠/١ رقم الحديث (١٣٣٦) .

(٢٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٥٢/٧ رقم الحديث (٣٩٣٨) .
(٢٣) صحيح مسلم : ١٣٥٨/٣ رقم الحديث (١٧٣٢) كتاب الجهاد والسير .
(٢٤) معتقد أهل السنة والجماعة لمحمد بن خليفة، ١٥٣/١.
(٢٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٠٣/٤، ٢٠٠٤) كتاب البر باب فضل الرفق .
(٢٦) رواه البخاري (٦٩٢٧) ومسلم (٤٠٢٧) .
(٢٧) رواه مسلم (١٨٢٨) .
(٢٨) ((إبطال التأويلات)) (٤٦٧) .
(٢٩) ((النونية (٨٦/٢) .
(٣٠) تهذيب اللغة ، للهروي ١٠٩/٩.
(٣١) صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة ، للسَّقَّاف ١٨٠/١.
(٣٢) تفسير أسماء الله الحسنى ، للسعدي ٢٠٦/١.
(٣٣) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي ١٠١/١.
(٣٤) التمسك بالسنن والتحذير من البدع لشمس الدين بن قَايْماز الذهبي، ٧٦/١.
(٣٥) الاعْتِصَام ، للشاطبي، ١٨٣/٢.
(٣٦) المصدر نفسه ٢٧٤/١.
(٣٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٣٥/٤٣ رقم الحديث (٢٦٣٠٨) .
(٣٨) حقيقه السنة والبدعة لجلال الدين السيوطي ١٧١/١.
(٣٩) معاوية بن أبي سفيان، لشحاتة محمد صقر ، ١٥٦./١.
(٤٠) رواه أبو داود ٢٥٥/٤، رقم الحديث (٤٨٠٨) ، كتاب الأدب باب الرفق، حديث صحيح.
(٤١) رواه البخاري (٦٩٢٧) ومسلم (٤٠٢٧) .
(٤٢) دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجا وأسلوبا ، للرحيلي ٤٩/١-٥١ .
(٤٣) سنن أبي داود : ٢٥٥/٤ رقم الحديث (٤٨٠٨) كتاب الأدب باب الرفق
(٤٤) صحيح مسلم ٢٣٦/١ ، رقم الحديث (١٠٠).
(٤٥) صحيح مسلم ٣٨١/١ ، رقم الحديث (٣٣).
(٤٦) سنن أبي داود : ٨٦/٢ رقم الحديث (١٥٢٢).
(٤٧) سورة آل عمران – من الآية (١٥٩).
(٤٨) تفسير ابن كثير : ١٤٨/٢.
(٤٩) صحيح الترغيب والترهيب ، للألباني ١١/٣ رقم الحديث (٢١٧١).

(٥٠) مكارم الأخلاق للطبراني ٣٢١/١ رقم الحديث (٢٦).

(٥١) ينظر : محاضرات مفرغة للشيخ محمد صالح المنجد (أهمية الرفق في حياة المسلم) .

(٥٢) سورة النساء – من الآية (١٩) .

(٥٣) سورة البقرة : من الآية (٢٢٨) .

(٥٤) تفسير ابن كثير : ٢٤٢/٢ .

(٥٥) صحيح البخاري : ٦٣١/٤ رقم الحديث (٥١٨٦) .

(٥٦) سورة التحريم – من الآية (٦) .

(٥٧) الخلع : فراق الرجل زوجته ببدل يحصل له، فقه السنة لسيد سابق ٢٩٥/٢.

(٥٨) صحيح البخاري : ٢٢٥/٤ رقم الحديث (١٦٤٧) .

(٥٩) الأربعون العشارية ١٤٢/١ الحديث السابع .

(٦٠) صحيح ابن حبان : ٤٠٧/١٢ رقم الحديث (٥٥٩٥) .

(٦١) صحيح مسلم : ١٤٥٨/٣ رقم الحديث (١٨٢٨) .

(٦٢) ينظر أهمية الرفق في حياة المسلم لمحمد صالح المنجد .

(٦٣) صحيح مسلم : ١٤٦١/٣ رقم الحديث ١٨٣٠.

(٦٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للإمام محي الدين النووي ، ٢١٦/١٢.

(٦٥) مسند أبي يعلى ٢٥٠/٧ ، والحديث صحيح وهو في السلسلة الصحيحة برقم ١٦٧.

(٦٦) سورة الانبياء – الآية ١٠٧ .

(٦٧) صحيح البخاري ١١٥/٩ .

(٦٨) صحيح البخاري ٧/٨ رقم الحديث ٥٩٩٧ وصحيح مسلم ١٨٠٨/٤ رقم الحديث ٢٣١٨.

(٦٩) سورة العنكبوت: الآية ٦٤.

(٧٠) مسند الامام أحمد ٤٦١/١٤ الحديث ٨٨٧٤، صحيح البخاري ١٣٢/٣ الحديث ٢٤٦٦.

(٧١) سورة النساء– الآية٩٤.

(٧٢) ينظر دروس الشيخ محمد اسماعيل المقدم بتصرف ٥١/٤ .

(٧٣) صحيح البخاري : ١١١/٣ رقم الحديث (٢٣٩٣) .

(٧٤) صحيح مسلم : ١٥٤٨/٣ رقم الحديث (١٩٥٥) .

(٧٥) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٣٢٨/١ .

(٧٦) سنن أبي داود : ٥٥/٣ رقم الحديث (٢٦٧٥) .

(٧٧) سورة البقرة – الآية ٢٦٩.

(٧٨) سورة الحجرات – من الآية ١٣.

(٧٩) سورة البقرة – من الآية ١٤٣.

(٨٠) فقه الدعوة الإسلامية في الغرب للريسوني ١٣/١-١٤.

(٨١) عنوان الفصل الثاني والثلاثون من الباب الخامس. من الكتاب الأول لمقدمة ابن خلدون.

(٨٢) فتح الباري ١ / ٣٨٨.

(٨٣) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة للأفضلي ، ٢٢/١

(٨٤) سورة التحريم – من الآية ٩.

(٨٥) صحيح البخاري : ١٧٥/٤ رقم الحديث (٣٤٧٥) .

المصادر والمراجع

- **بعد القرآن الكريم .**

i. الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة /ابو الفضل جعفر بن محمد "شمس الخلافة" أبن مختار الأفضلي، الملقب مجد الملك، (ت، ٦٢٢هـ).

ii. إبطال التأويلات لأخبار الصفات، للقاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد ابن الفراء(ت:٤٥٨هـ)،المحقق: محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية، الكويت .

iii. الاربعون العشرية السامية مما وقع لشيخنا من الاخبار العالية لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم العراقي ،(ت :٨٠٦ هـ)، المحقق :بدر عبدالله البدر، الناشر ،دار أبن حزم – بيروت ،ط١ (١٤٢٣هـ- ١٩٩٢م) .

iv. ٤-الاعْتِصَام،لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي(ت:٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة:د. محمد بن عبد الرحمن الشقير،د. سعد بن عبد الله آل حميد، د. هشام بن إسماعيل الصيني،دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع،المملكة العربية السعودية ، ط١، ١٤٢٩هـ

v. تفسير أسماء الله الحسنى، لعبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،العدد١١٢- السنة ٣٣ -١٤٢١هـ .

vi. تفسير القرآن العظيم،لأبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي،(ت:٧٧٢هـ)،تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٢(١٤٢٠هـ).

vii. التمسك بالسنن والتحذير من البدع، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، المحقق: محمد باكريم محمد باعبدالله، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة ٢٧ العددان ١٠٣ - ١٠٤ -١٤١٦هـ /١٤١٧هـ-٩٩٦م/١٩٩٧م.

viii. تهذيب اللغة ، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ) ، المحقق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١، ٢٠٠١م.

ix. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت :١٣٧٦هـ) المحقق:عبد الرحمن بن معلا اللويحق،مؤسسة الرسالة ط١(١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

x. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ،(ت :٦٧١هـ) ،تحقيق :أحمد البردوني وابراهيم طفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ،الطبعة الثانية (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤).

xi. جمهرة اللغة : ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي (ت:٣٢١هـ)،تحقيق رمزي منير بعلبكي ،الناشر :دار العلم للملايين .بيروت ،الطبعة الاولى (١٩٨٧م).

xii. حقيقة السنة والبدعة ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، المحقق: ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني ، مطابع الرشيد ، ١٤٠٩ هـ.

xiii. دروس الشيخ محمد إسماعيل المقدم ، لمحمد أحمد إسماعيل المقدم ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ، http://www.islamweb.net

xiv. دروس للشيخ محمد المنجد : محمد صالح المنجد ، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الاسلامية .

xv. دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجا وأسلوبا ، لعبد الله بن ضيف الله الرحيلي ، مكتبة الملك فهد الوطنية .

xvi. زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ) ، دار النشر: دار الفكر العربي .

xvii. الزهد والرقائق لابن المبارك أبو عبد الرحمن عبدالله بن المبارك الحنظلي ،التركي ثم الرمزي (ت :١٨١هـ) ،المحقق حبيب الرحمن الاعظمي ، دار الكتب العلمية – بيروت .

xviii. سنن ابي داوود لأبي داوود سليمان بن الاشعث بن أسحاق بن بشير الازدي السجستاني (ت:٣٧٥هـ) ،تحقيق محمد محي عبد الحميد ،المكتبة المصرية صيدا – بيروت.

xix. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت :٣٩٣هـ)،تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين ،ط٤(١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

xx. صحيح بن حبان : لابي حاتم محمد بن احمد بن حبان التميمي الدارمي البستي ،(ت: ٣٥٤هـ) تحقيق شعيب الارنؤط ،مؤسسة الرسالة – بيروت ،ط٢ (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م).

xxi. صحيح البخاري :ابو عبدالله محمد بن اسماعيل الجهني (ت:٢٥٦هـ) ،تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ،الناشر :دار طوق النجاة ، الطبعة الاولى (١٤٢٢هـ)

xxii. صحيح الترغيب والترهيب :محمد ناصر الدين الالباني ،(١٤٢٠هـ) ، الناشر مكتبة المعارف .الرياض ، الطبعة الخامسة .

xxiii. صحيح مسلم :ابو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ،(٢٦١هـ) ،محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر :دار احياء التراث العربي – بيروت.

xxiv. صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة ، المؤلف : علوي بن عبد القادر السَّقَّاف ، الناشر : الدرر السنية – دار الهجرة ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦ م

xxv. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

xxvi. فقه الدعوة الإسلامية في الغرب ووجوب تجديدها على الحكمة والوسطية والاعتدال ، أ. علي بن أحمد بن الأمين الريسوني ، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية .

xxvii. كتاب العين : لابي عبد الرحمن احمد بن خليل بن احمد بن عمرو الفراهيدي البصري ،(ت :١٧٠هـ) ،المحقق :د.مهدي المخزومي ،ابراهيم السامرائي ، دار مكتبة الهلال .

xxviii. لطائف الاشارات : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، (ت :٢٦٥هـ) ،تحقيق ابراهيم البسيوني ،الناشر :الهيئة المصرية العامة للكتاب ،الطبعة الثالثة .

xxix. متن القصيدة النونية ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ .

xxx. مرشد الخطيب ودليل الباحث في الخطب المنبرية : عبد الرحمن المصطاوي ،الناشر: دار المعرفة الطبعة الثانية (١٤٣١هـ –٢٠١٠م) .

xxxi. مسند الامام احمد بن حنبل :لابي عبدالله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، (ت:٢٤١هـ) ،تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ،ط١ (١٤٢١هـ – ٢٠٠١م).

xxxii. مسند أبي يعلى ،لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثُنى التميمي الموصلي (ت: ٣٠٧هـ) ، المحقق: حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث – دمشق ، ط١، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.

xxxiii. معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين(ﷺ) كشف شبهات وردّ مفتريات ، لشحاتة محمد صقر ، دار الخلفاء الراشدين – الإسكندرية (مصر).
xxxiv. معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ، لمحمد بن خليفة بن علي التميمي ، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ط١ ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .
xxxv. معجم الفروق اللغوية لابي هلال الحسن بن عبدالله بن مهران العسكري (ت :٣٩٥هـ)، تحقيق : الشيخ بيت الله بيان، مؤسسة النشر الاسلامي، ط١ (١٤١٢هـ).
xxxvi. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير،لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي فخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي–بيروت ، ط١ ،١٤٢٠هـ.
xxxvii. مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي (ت:٨٠٨هـ) ، عارضها بأصولها وعلق حواشيها: محمد بن تاويت الطَّنجي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .
xxxviii. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي(ت: ٥٠٥هـ) ، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي ، الناشر: الجفان والجابي – قبرص ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
xxxix. مكارم الأخلاق للطبراني ، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، كتب هوامشه: أحمد شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .
xl. المنهاج شرح صحيح بن مسلم بن الحجاج :ابو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي ، (ت :٦٧٦هـ) ،الناشر دار التراث العربي بيروت ،الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ).